دراسة دلالية في القرآن الكريم جوانب من سورة الحج أنموذجا

A study In The Noble Qur'An, Aspects Of Surat Al-Hajj as a Model

د. حسان بوسرسوب[1]*

[1] جامعة سطيف02 (الجزائر)، h.boussersoub@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2022-06-25 تاريخ القبول: 2022-08-10 تاريخ النشر:2022-12-27

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهمية علم الدلالة في فهم النصوص عامة، ولاسيما فهم القرآن العظيم حيث ساهمت من خلال ذلك إلى الفهم عن الله تعالى، كما تسعى إلى كشف واستنباط الدلالات المختلفة في جوانب سورة الحج، وذلك ضمن خطة منهجية واضحة، وارتكزت الدراسة على عدد من التساؤلات أهمها: كيف يتم تبيين عالم الوجود القرآني من خلال المادة اللغوية في سورة الحج ؟ واعتمدت الدراسة على تنويع المناهج، كالمنهج الاستقرائي والاستنباطي و التحليلي، وذلك من خلال استقراء أقوال بعض المفسرين لاستنباط دلالات الآيات المختلفة. والتعليق عليها في بعض المواضع ضمن ضوابط التفسير المعروفة. وقد توصلنا إلى عدة نتائج أهمها: كشفت عن أهمية علم الدلالة في تفسير القرآن الكريم وما انطوى عليه من قدرة في استنباط معان القرآن الكريم وبين أننا في أمس الحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى، لاستخدامه في فهم معاني القرآن الكريم، كما أبرز معان جليلة عظيمة تضمنتها سورة الحج في مختلف أنواع الدلالات.

كلمات مفتاحية: دراسة دلالية، القرآن الكريم، الحج، المصير الانساني.

Abstract:

This study aimed to shed light on the importance of semantics in understanding texts in general, and in particular the understanding of texts The Great Qur'an, through which it contributed to the understanding of God Almighty, and it also seeks to reveal and elicit The various indications in the aspects of Surat Al-Hajj, within a clear methodological plan, and the study was based on a number of Among the most important questions: How is the world of Quranic existence explained through the linguistic material in Surat Al-Hajj? and adopted The study aims to diversify the curricula, such as the inductive, deductive and analytical

* المؤلف المرسل: حسان بوسرسوب

method, by extrapolating the sayings of some Interpreters to elicit the semantics of the different verses. And commenting on it in some places within the well-known interpretation controls. We have reached several results, the most important of which are: It revealed the importance of semantics in the interpretation of the Noble Qur'an and its implications The ability to elicit the meanings of the Noble Qur'an and show that we need it more than ever, to use it in Understand the meanings of the Noble Qur'an, as well as highlight the great meanings contained in Surat Al-Hajj in various types of connotations.

Keywords: Semantic Study; The Holy Quran; Hajj; Human Destiny.

1. مقدمة:

لا يخفى على أحد من عناية الدارسين بالجانب المعجز للقرآن الكريم، وذلك من خلال النظر في نظمه وبيانه وتنوه أساليبه، فكثرت الدراسات وتنوعت موضوعاتها، سعيا للوصول إلى إظهار دلائل إعجاز القرآن الكريم، وما سلكه في إقامة براهينه وحججه طرقا عدة، حيث جاءت الآيات متلائمة ومتوافقة فيما بينها، وقد كتب غير قليل من الباحثين في بيان سور القرآن الكريم وبلاغتها، إلا أنَّ سورة الحج لم تحظ بدراسة دلالية حديثة، وهذا ما دفعنا لدراستها دراسة دلالية لغوية حديثة، وذلك من خلال البحث في الدلالة اللغوية دون سواها.

وقد حاول علماء اللغة أن يطبقوا آلياتها على النصوص لما لها من أهمية، حيث يبرز التحليل الدلالي كونه لا يتوقف عند البحث في الدلالة المفردة القرآنية من الناحية اللغوية، ولا حتى عند البحث عن معناها في السياق القرآني، ولكنه يتجاوز ذلك إلى البحث عن معانيها المستمدة من نظام العلاقات الذي يحكمها، نظام في غاية التعقيد وفي غاية الدقة، لأنّ الكلمات التي تشترك مع غيرها في حقل دلالي واحد تنتج مفاهيما متنوعة، ولكنّها مترابطة فيما بينها في المجموعة الواحدة، ومترابطة مع غيرها من المجموعات ذات الدلالات المتنوعة. ولهذا فإنَّ الأهمية لا تكمن في معرفة معنى الكلمة وهي منعزلة، ولكن في معرفة إطار نظامها المفهومي الذي يشكل بنيتها العامة. ومن التطبيقات علم الدلالة نجد الإنجاز الذي قام به المستشرق الياباني إيزوتسو في كتابه الله والانسان في القرآن علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم، وقد وفق إلى حد بعيد في دراسته، وهذا ما

دعانا اختيار هذه الدراسة. ومن خلال ما سبق تبحث هذه الورقة حول إمكانية تطبيق منهجية إيزوتسو على سورة الحج، ولعل السؤال الجوهري الذي نسعى للإجابة عنه: **هوكيف يتم تبيين عالم الوجود القرآني من خلال المادة اللغوية** ؟ وتحت هذا السؤال المركزي نجد أنفسنا أمام مصطلحات دلالية دقيقة ينبغي التريث في مناقشتها: كيف انعكست الرؤية القرآنية للعالم من خلال المعجم اللغوي الذي تضمنته الآيات؟ ولما حاولنا حل هذه الإشكالية، كان لازاما علينا الإلتزام بالمعادلة الدلالية التي إتبعها إيزوتسو في تحقيق نتيجة فهم وتحليل العلاقة الأساسية بين الله والإنسان في القرآن، مما يعني أنَّ إشكالية الدراسة هي في صميم ما عنونه ب: الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم وتطبيقاتها على سورة الحج، وهو ما سنتناوله خلال بحثنا هذا في الورقات التالية.

2. أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

يأت سبب اختيارنا لسورة الحج أنموذجا لهذا الموضوع، لما لهذه السورة من أهمية ودور كبير في الإهتمام الكبير بالقرآن الكريم ودراساته، وكذلك ما لأهمية الجانب الدلالي في ترجمة معاني القرآن الكريم، وكذلك من أجل التعرف أكثر على الجانب التطبيقي لعلم الدلالة في ترجمة معاني القرآن الكريم، ومحاولة تطبيق ما تم تعلمه في مقياس علم الدلالة على النص القرآني لأن فهمه يتطلب التدبر والتمعن في آياته ولفهم معانيه وفقه أسراره وارتأينا أن يكون عملنا هذا موزعا على: مقدمة ومبحثين، ففي المبحث الأول تناولنا فيه العلاقة الوجودية بين الله والإنسان وفي المبحث الثاني عالجنا العلاقة التواصلية بين الله والانسان، ثم انتهينا بخاتمة وقائمة المراجع.

3. منهجية الدراسة:

لقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والاستنباطي و التحليلي بما يتوافق مع هدف البحث وأهميته، من خلال استقراء واستنباط وتحليل كتاب الله تعالى لبعض الآيات التي

تتعلق بموضوع البحث، ووصف الظاهرة اللغوية وتحليلها لإستنتاج خصائصها. والتي تحتاج إلى توضيحها وعرضها حسب ورودها، من خلال ما جاء في القرآن الكريم.

4. الدراسات السابقة والمشابهة:

بعد التقصي والبحث في حدود علم الباحث فقد تعددت الكتابات والأبحاث حول سورة الحج ولكني والله أعلم لم أقف على من كتب في الأبعاد أو الجوانب الدلالية لسورة الحج، والأصل في اللغات التجدد، نتيجة عن ما يصيبها من تصارع فتستحيل ألفاظا وتحيل محلها ألفاظا أخرى واللغة العربية كغيرها من اللغات حدث فيها هذا التغيير، وهذا سنتطرق له في هذه الدراسة.

وبما أنّ موضوع البحث هو دراسة دلالية لبعض آيات من سورة الحج فإنّه من الضرورة بمكان التعريف بالدلالة وبيان أهميتها، وموضوع علم الدلالة، فنقول وبالله التوفيق .

5. تحديد مفهوم علم الدلالة:

أ. مفهوم علم الدلالة لغة: قال ابن فارس: الدَّال واللام أصلان (دَلَ): أحدهما إبانةً الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. (إبن فارس،1998،ص259). وقال الراغب: وأصل الدلالة مصدر، كالكتابة والإمارة، والدّال: من حصل منه ذلك، ثم يسمّى الدّال والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره. وقال ابن مظور: دل فلان إذا هدى، والدّال: قريب المعنى من الهدي وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. (ابن منظور،1414،ص247).

وتدور اللفظة (دل) في ضوء المعاني المعجمية حول: السمت والهداية، والاضطراب والإرشاد، أو معرفة بالطرق لإرشاد الناس إليها به وهو الذي يعنينا في هذا البحث .

ب. مفهوم علم الدلالة اصطلاحا: تدل مادة (دلل) على إبانة الشيء. (الزمخشري،1998 ،ص295). ويعد علم الدلالة أحدث فروع اللسانيات الحديثة ويعني بدراسة معاني والألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية. (مؤمن،2012،ص239). فقد عرفه الجرجاني بقوله: "الدلالة

هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هي الدال والثاني هوالمدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإثارة النص واقتضاء النص"(الجرجاني،1985،ص215). أي أنّها لا تخرج عن تضافر الدال والمدلول حيث تصبح للكلمات والعلامات اللغوية معاني ودلالات يصطلح على مدلولها، ويقول أحمد مختار عمر "علم الدلالة هودراسة المعنى أوالعلم الذي يدرس المعنى أوذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى". (مختار،1998،ص11). إذن فعلم الدلالة هو مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى ويعرف أيضا بأنه علم معاني الكلمات وأشكالها النحوية، حيث يبحث عن معاني الألفاظ ويكشف لنا العلاقة بين الألفاظ ومعانيها وبين اللغة ومستخدميها .

1.5. موضوعه:

"موضوع علم الدلالة أي شيء، أوكل شيء يقوم بدور العلامة أوالرمز وهذه العلامات أوالرموز قد تكون علامات على الطريق وقد تكون إشارة باليد أو إيماء بالرأس، ومن أمثلة الرمز كذلك حمرة الوجه للدلالة على الخجل، أوالتصفيق علامة الاستحسان، وعلامات الترقيم، وسم الفتاة مغمضة تمسك ميزانا لرمز العدالة".(بالمر،1999،ص51). ومشكلة علم الدلالة ليست هي البحث عن كيان مميز يسمى المعنى على الإطلاق، أوربما على نحوأفضل كيف يمكن أن تكون ذات معنى. (بالمر،1999،ص51).فهو يبحث عن العلاقة بين الرموز في العالم الخارجي وبين مسمياتها.

2.5. أقسام الدلالة:

يهتم الدرس الدلالي بالمعنى وهنا وجد اللغويون انه لا يمكن الأخذ بالوحدة المعجمية كدلالة محضة، باعتبار الكلمات التي ترد مفردة أوفي السياق لذا ميزوا بين معان كثيرة أهمها:

- المعنى الأساسي أوالتصوري: وهوالمعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية حينما ترد مفردة.

– المعنى الإضافي أوالثانوي: وهوالمعنى زائد على المعنى الأساسي يدرك من خلال سياق الجملة.

– المعنى الأسلوبي: وهوالذي يحدد قيم تعبيرية تخص الثقافة أوالاجتماع.

– المعنى النفسي: وهوالذي يعكس الدلالات النفسية للفرد المتكلم.

– المعنى الإيحائي: وهوذلك النوع من المعنى الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء نظرا لشفافيتها.(مختارعمر،1998،ص36-39).

3.5. الحقول الدلالية :

من أهم موضوعات علم الدلالة الحقل الدلالي، الذي ثبتت أصوله في التراث العربي ويعرف بأنه مجموعة المفاهيم والمصطلحات الأساسية التي تترابط فيما بينها لتؤدي وظيفتها المستقلة في إطار النظام ألمفهومي الشامل حيث عرفه أولمان في قوله "هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة"(موريس،1982،ص35).

مثال كلمة ألوان في اللغة العربية المصطلح العام هو لون حيث يضم مجموعة من الألفاظ نحوأحمر اصفر أبيض أزرق.وقد قسم أولمان الحقول الدلالية إلى ثلاثة أقسام:

1) الحقول المحسوسة المتصلة: مثل حقل الألوان والعناصر التي تتشكل حقلا متلاحما.

2) الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة: كحقل القرابة ونظام العلاقات الأسرية.

3) الحقول التجريدية: يمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية. (مختارعمر،1998،ص107).

4.5. أسس ومبادئ نظرية الحقول الدلالية:

– ليس هناك وحدة لغوية معجمية تنتمي إلى أكثر من حقل

– ليست هناك وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين

– لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة

– يستحيل أن تدرس المفردات المستقلة عن تركيبها .(مختار،1998،ص80).

5.5. أهميتها:

تكمن أهمية الحقول الدلالية من أهمية علم الدلالة نفسه حيث تتبلور الأهمية في الهدف

وهوجمع كل كلمة وأختها مما جعلها تساهم في إيجاد الحلول لبعض المسائل اللغوية مثل الفجوات المعجمية (الوظيفية) الموجودة داخل الحقل الدلالي حيث ساهمت في تحديد الدلالة ويكون هدفها هدف تعليمي، إضافة إلى جمع المفردات وتحديد سماتها التميزية مما يساعد المتكلم في استعمال الكلمات بدقة. ومنه نستخلص أنَّ **نظرية الحقول الدلالية** واضحة المعالم معروفة الحدود بفضل علمائنا أصبحت منهجا طبق في العديد من المجالات منها صناعة المعاجم والنص الأدبي وغيرها.

6. المبحث الأول: العلاقة الوجودية بين الله والإنسان

يحمل النص القرآني في طياته مسائل وقضايا وجودية بالغة الأهمية، أول هذه المسألة المصير الإنساني التي أثارت فضول وشك الإنسان حول كينونته ومصيره حيث إن هذه القضية هي جوهر الوجود الإنساني.

1.6. مفهوم الخلق والمصير الإنساني:

إنّ في القران الكريم جملة من الآيات الكونية المتضمنة لإشارات تدل على قدرة الله تعالى على خلق الكون مثل: خلق الأرض، والسماء والشمس والكواكب والقمر والنبات وغير ذلك، مما ذكره القرآن من بدائع الخلق وأسراره، وهذه الآيات بمثابة دلائل للتعرف على خالق العالم أجمع، فيقول المصطفى **صلى الله عليه وسلم** "كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض"(الطحاوي،د.ت،ص301). وهذا الحديث الشريف يؤكد على حقيقة الخلق وحقيقة وجود خالق عظيم هوالله سبحانه وتعالى، الذي خلق كل شيء.

ومن أعظم مخلوقاته جل وعلا وأكرمها الإنسان الذي ميزه بالعقل ليتدبر في خلقه وكيف أنَّ الله أبدع في تصويره قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾.[الحج:05]. فكأنه سبحانه قال إن كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا في خلقتكم الأولى لتعلموا أنّ القادر على خلقكم أولا قادرا على خلقكم ثانيا وذكر سبحانه مراتب خلق الإنسان في بداية الآية ثم يتلوها تشبيه ضمني في آخر الآية يدل على المصير والخلق فحالنا كحال الأرض الهامدة التي أنزل عليها الماء فتهتز.

2.6. مراتب الخلق :

المرتبة الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ** ﴾ فيها وجهان:

– إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب. وأنَّ خلقة الإنسان من المني ودم الطمث وهما إنما يتولدان من الأغذية والأغذية إما حيوان إما نبات وغذاء الحيوان ينتهي قطعا لتسلسل إلى النبات والنبات إنما يتولد من الأرض والماء.

المرتبة الثانية: قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ** ﴾ والنطفة اسم للماء القليل أي ماء كان وهو هاهنا ماء الفحل فكأنه سبحانه يقول: أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس ماءا لطيفا.

المرتبة الثالثة: في قوله: ﴿ **ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ** ﴾. العلقة هي قطعة اللحم الجامدة.

المرتبة الرابعة: ﴿ **ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء** ﴾ فالمضغة لحمة صغيرة قدر ما يمضغ كما قسم المضغة إلى قسمين مخلقة وغير مخلقة.

المرتبة الخامسة: في قوله: ﴿ **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا** ﴾. وإنما وحد الطفل لان غرض الدلالة على الجنس ويحتمل أن يخرج كل واحد منكم طفلا.

المرتبة السادسة: في قوله: ﴿ **ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ** ﴾ والأشد كمال القوة والعقل والتميز والمراد والله أعلم ثم سهل في تربيتكم وأغذيتكم أمورا لتبلغوا أشدكم .

المرتبة السابعة: ﴿ **وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾ والمعنى أن منكم من يتوفى على قوته وكماله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهوالهرم والخوف فيصير كما كان في أول طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم.(الرازي،1971،ص7).

و قوله تعالى: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ والْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ .[**الحج:36**]. والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة، سميت بذلك إذا أهديت للحرم لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ولكن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ألحق البقر بالإبل حين قال: "البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة" ولأنّه قال: " **فإذا وجبت جنوبها** " وهذا يختص بالإبل فإنها تنحر قائمة دون البقر وقال قوم: " البدن الإبل والبقر التي يتقرب بها إلى الله تعالى في الحج والعمرة لأنه إنما سمي بذلك لعظم البدن فالأولى دخولها فيه اما الشاة فلا تدخل وان كانت تجوز في النسك لأنها صغيرة الجسم فلا تسمي بدنة.(الرازي،1971،ص36).

وهنا فإنَّ إدراك الخلق الأول، كيف استوى الإنسان وكيف انتقل من العدم إلى الحياة مصدر لفهم الخلق الجديد، لذا نجد أن الآيات التي تدل عليه والمتمثلة في المصير الإنساني مرتبطة ببداية الخلق، كون السؤال الجوهري في النظام الجاهلي كان حول المصير الإنساني حيث نجد القرآن الكريم يدل على النشأة الآخرة والبعث بدليل النشأة الأولى والخلق قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُون** ﴾.[**الواقعة:62**]. أي لقد علمتم أن الله أنشاكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تتذكرون وتعرفون الذي قدر على هذه النشأة وهي البداية قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بالطريقة الأولى.(المراغي،1946،ص126).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ مفهوم الخلق لا يتعلق بالإنسان فحسب بل يحتوي جميع المخلوقات، فكل ما يظهر أمام الإنسان من أرض وسماء ودواب وجبال وغيرها آيات وأدلة منطقية على فرادة الله في الخلق وتوسيع لدائرة الرؤية في قدرته العظيمة على الصنع والاختراع المختلف وهذا يعني في السياق القرآني التغيير الدلالي لمفهوم الخلق، إذ أن التغيير يبدأ حينما يضع السياق ذهن الجاهلين مباشرة أمام الشركاء المعبودة ويفسح لهم مجال رؤيتها إن كانت قادرة على الخلق مثل الخلق الإلهي.(حاج مداني، 2017،ص183). وأما قوله: ﴿ **وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ** ﴾ كأنه سبحانه قال: أترك أمر الخلق والإيجاد وأتكلم فيما هوأسهل منه، فان الذباب إن سلب منها شيئا فهي لا تقدر على استنقاذ ذلك الشيء من الذباب، **واعلم أن الدلالة الأولى** صالحة لأن يتمسك بها في نفي كون المسيح والملائكة آلهة، **أما الثانية** فلا فإن قيل: هذا الاستدلال أما أن يكون لنفي كون الأوثان خالقة عالمة حية مدبرة، أو لنفي كونها مستحقة للتعظيم والأول فاسدة، لأنَّ نفي كونها كذلك معلوم بالضرورة فأي فائدة في إقامة الدلالة عليه؟

وكما تعددت مراتب خلق الإنسان تعددت كذلك صور خلقه الدالة على قدرة الله حيث ذكرت في القرآن الكريم أربع صور للخلق:

- خلق بدون ذكر وأنثى أي من الله سبحانه وتعالى مباشرة بدون الأسباب وهذا هوخلق آدم.
- وخلق من ذكر دون أنثى وهذا هوخلق حواء خلقت من ضلع آدم كما اخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾.[**النساء:01**] .
- وخلق من ذكر وأنثى و يتم بمشيئة الله سبحانه وبالأسباب وهي: وجود الذكر والأنثى ولكن طلاقة قدرة الله تعالى شاءت ألا تجعل الأسباب تعمل وحدها بل هي تعمل بإرادة المسبب .
- والصورة الرابعة هي خلق عيسى عليه السلام بن مريم من أنثى بدون ذكر، لتتم به معجزات الخلق الأربعة ليصبح الخلق بدون ذكر وأنثى ومن ذكر دون أنثى، ومن اجتماع الاثنين، ومن أنثى

دون ذكر.(الشعراوي، 2006،ص10). وهذا ما يتجلى في الأدب الجاهلي فهم ينسبون الخلق لله الأعلى ومثالا على ذلك قول عنتر بن شداد:(بن شداد،د.ت، ص60).

"حرصت على طول البقاء وإنما مبدئ النفوس أبادها ليعيدها"

ولكن إدراك هذا المفهوم بالفطرة يبقى غير كاف لذا وجب التعمق في فهم ووعي الماهية الخلقية لان عدم إدراكها يؤدي إلى اقتراف الذنب مثل الطغيان وهوتجاوز الحدود الإنسانية بالغطرسة والاستغناء الذي يتمثل في شعور المرء بأنَّه حر ومستقل تماما أي أنه لا يدين بشيء لأحد حتى الله تعالى. فالجاهليون في العصور السابقة للإسلام لم يهتموا بقضية أصل الوجود لذا كان مفهوم الخلق لديهم ضعيف، كانوا مركزين على نهاية الحياة (الموت) عوضا عن تركيزهم على بدايتها حيث نجد أنَّ موضوع حتمية الموت ومشكلة الخلود هو الموضوع الوحيد لدى الفلاسفة والشعراء في العصر الجاهلي حيث كان عندهم المرحلة الأولى بداية الحياة وأصل الوجود الإنساني مرتبطة بمفهوم الخلق وعندما يخلق الله الإنسان يقطع روابطه أي يصبح له سيد آخر يحكم فيه حتى موته وهو الدهر (الزمن) قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ** ﴾.[الجاثية:24]. وتتميز الرؤية الجاهلية لحياة الإنسان بالكآبة والغموض (نظرة تشاؤمية). (إزوتسو،2007،ص200).

ونجد في الفلسفة اليونانية أنَّ أغلب فلاسفتها عالجوا مشكلة حتمية الموت ومصير الإنسان بعده، فبحثوا عن الخلود وأسباب الخوف من الموت وعالجوا هذا الموضوع كل حسب تصوره، حيث شكل حافزا وسببا وراء الكثير من النظريات الفلسفية من منطق أن الحياة غريزيا هي صراع من أجل البقاء. فيرى سقراط أنَّ الموت ليس شر واعتبره رحلة إلى عالم أجمل وأنقى. وأما أفلاطون فتتلخص فكرته في اعتناق الروح من الجسد والمعرفة هي ترياق ضد الموت "المعرفة بالنسبة لأفلاطون لها أهمية ونتيجة لأنها مصدر قوة لذلك تعتبر ترياقا فعالا ضد الموت".(جيمس،1998،ص27).

وأبيقور في نظريته التي تعد من أشهر المذاهب المذكورة لوجود حياة أخرى ما بعد الموت حيث يرى أبيقور أن فكرة الموت هي ذروة الحياة وقمة اكتمالها لذا دعا لعدم التفكير في الموت وهروب الإنسان من مواجهته وتجاهله، أي لا داعي للتفكير فيما بعد الموت لأنه لا يعنينا إطلاقا وإذا تخلصنا من وهم الجزع من الموت نستطيع أن نحيا الحياة السعيدة التي نرجوها.(بدوي،1997،ص68).

وفي الفلسفة المعاصرة نجد النظرية الوجودية هي الأخرى أيضا: عالجت هذه المسألة لما ينتج عنها من قلق ومعاناة، وترى أيضا أنَّ الوجود الإنساني هو وجود نحو الموت. فالموجود البشري معرض للمخاطر يمكن في أي لحظة أن يختفي في العدم.(هايدجر،1977،ص85).كما قال مارتن هيدغر الموت لا يعني بلوغ النهاية بل يعني الوجود من الانتهاء (الموت).(ماكوري،1982،ص281).

وفي المقابل يحمل القرآن الكريم لنا رؤية مختلفة فيها تم توضيح مصير الإنسان فتكون حياته كلها تحت السيطرة المطلقة للخالق (الله) وبذلك يلغى عنصر الدهر الذي كان سائدا في الجاهلية بأنه السيد يحمل صفة الاستبداد والسيطرة على حياتهم منذ بدايتها لنهايتها، ويحل محله القضاء والقدر بأنه تقدير الله تعالى لما يحدث في الكون حسب ما سبق به علمه واقتضاه حكمه.

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان في حين تظل حتمية الموت على حالها لأنّه مقدر على كل البشر حتى على الأنبياء والرسل والأجل لا يعد نقطة نهاية الوجود البشري كما كان سائدا في الجاهلية بل هوبداية للعالم الآخر أي أنّه حلقة وصل بين الدنيا والحياة الحقيقية (ما بعد الموت) . فالعلاقة الوجودية بين الله والإنسان تتصف بأنّها علاقة جوهرية الله الخالق المعبود والإنسان المخلوق العبد. حيث تبرز القدرة الربانية للخالق (الله) في خلق الكون بصفة عامة وخلق الإنسان بصفة خاصة وقدرته الإلهية فلا حد لقدرة الله ولا راد لأوامره، فالحياة والموت والكون والإنسان والمصير بيد الله وحده سبحانه وتعالى .

7. المبحث الثاني: العلاقة التواصلية بين الله والإنسان

كرم الله عز وجل الدين الإسلامي بالقرآن الكريم، فهو رحمة الله لعباده المسلمين لتميزهم بهذه المعجزة الخالدة التي لا تتحيز بمكان محدد، ولا تختص بأمّة معينة ومن هنا يقوم القرآن الكريم بدور استثنائي وصعب وهوالدعوة لهداية الناس في كل زمان ومكان: " في حين كانت الأديان الأخرى تعنى بمنطقة معينة وزمن معين فكانت معجزة الأديان خوارق يراها الناس فيؤمنوا بها بحكم هذه الخوارق فيتوارثها الأبناء عن الآباء حتى يأتي دين جديد آخر بخوارق ليؤمنوا به"(جمال، 2004، ص105). ولأنَّ القرآن هومعجزة خاتم الأنبياء والرسل ومن غير المعقول أن تكون هذه المعجزة حسية مثل معجزات الأنبياء والرسل السابقين، ونتيجة لما سبق وعلى هذا الأساس فقد اهتم علماء الأمة اهتماما خاصا بألفاظه ومفرداته القرآنية، ونجد كذلك القدماء والمحدثين أعطوا عناية بالغة الأهمية للمصطلح القرآني للكشف عن معانيه ورصد أصوله الدلالية لأنه رسالة تبليغية موجهة للبشرية جمعاء المنزلة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو يمثل العلاقة التواصلية المباشرة بين الله وعباده ذات مصدر العلوي، فجاء ليسطر للعبد علاقته مع خالقه ومع نفسه وغيره من البشر من خلال تشريع الأحكام وتوضيح المقاصد ومعرفة الخالق وشكره والامتثال لأوامره وتحقق هذه الغاية من خلال العملية التواصلية. وعليه فالتواصل هوحالة من الفهم وإبلاغ المتبادل بين النظامين أوكيانين يكون أحد هذه الأنظمة مرسلا والآخر مستقبلا وفي بعض الأحيان يتبادل الطرفان المواقع من حيث الإرسال والاستقبال بمعنى أن للتواصل اتجاهين: من الأعلى إلى الأسفل **وهوتواصل الخالق مع مخلوقاته** وهذا يتصف بالديمومة والاستمرار لأنه الخالق والخالق لا يتخلى عما خلق وإنما يحفظه ويدبر أمره إلى أجله الذي أجله له. **والاتجاه الأخر** من الأسفل للأعلى أي من: **العبد لربه** أحيانا ينقطع هذا التواصل عند الكفر والمعصية وجحود الإنسان لنعم الخالق وإذا استغفر العبد وتاب يرجع تواصله مع خالقه والعلاقة التواصلية نوعان:

1.7. النوع الأول: التواصل اللغوي (اللفظي):

هو التواصل الذي تستخدم فيه اللغة الشفهية والأصوات المعبرة عن الأفكار والمعارف التي يراد نقلها إلى المستقبل سواء من الله على شكل الوحي أومن الإنسان عن طريق الدعاء.

2.1.7. الوحي كعملية تواصلية: تمثل ظاهرة الوحي أداة ووسيلة في العملية التواصلية من الله لعباده وبتعبير آخر الوحي هومبدأ اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة ومصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب. وبتعبير أجمل الوحي بمفهوم لغوي هوكلام الله الذي خاطب به الإنسان باللغة التي يتكلمها بمعنى أنّه أداة للكلام الإلهي المباشر مع عباده والكلام هوتواصل لغوي فإنَّ الوحي مفهوم جزئي يقع ضمن مفهوم الكلام العام.

3.1.7. الأوجه اللغوية للوحي :

1- إلهام فطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى.

2- إلهام غريزي للحيوان كالوحي للنحل.

3- الإشارة السريعة على سبيل الرمز كإيحاء زكريا عليه السلام.

4- ما يلقيه الله لملائكته من أمر.

5- وحي يطلق على الإعلام بالشيء في الخفاء وهوأن تعلم إنسانا بأمر تخفيه على غيره.

6- وحي الله إلى أنبيائه وهوما يلقيه إليهم من عمل ضروري الذي يخفيه عن غيره.

ويرى الرازي في قوله تعالى: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ** ﴾" في المأمور قولان أحدهما: وعليه أكثر المفسرين هو إبراهيم عليه السلام قالوا: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قال: يارب وما يبلغ صوتي؟ قال: عليك الأذان وعلي البلاغ فصعد إبراهيم عليه السلام الصف. وفي رواية أخرى أبا قبيس وفي رواية أخرى على المقام. قال إبراهيم: كيف أقول؟ قال جبريل عليه السلام: قل لبيك اللهم لبيك فهوأول من لبى وفي رواية أخرى أنه صعد الصف فقال يا أيها الناس أن الله كتب

عليكم حج البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والأرض فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يلبي يقول : لبيك اللهم لبيك، ومِثْلُ ذَلِكَ قَدْ يَجُوزُ في زَمانِ الأنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ. القَوْلُ الثّانِي: أنَّ المَأْمُورَ بِقَوْلِهِ: ﴿ **وأذِّنْ** ﴾ هومُحَمَّدٌ □ فَإلَيْهِ يَرْجِعُ الخِطابُ.

7- الإلهام بالوساوس من الشياطين وقد استعمل القرآن الوحي بمعنى وساوس الشياطين للإنسان بالشر قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾.[الحج:52].

والله سُبْحانَهُ وتعالى لَمّا شَرَحَ حالَ هَذِهِ الوَسْوَسَةِ أرْدَفَ ذَلِكَ بِبَحْثَيْنِ:

البَحْثُ الأوَّلُ: كَيْفِيَّةُ إزالَتِها، وذَلِكَ هوقَوْلُهُ تَعالى: ﴿**فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ** ﴾ فالمرادُ إزالَتُهُ وإزالَةُ تَأْثِيرِهِ فَهوالنَّسْخُ اللُّغَوِيُّ لا النَّسْخُ الشَّرْعِيُّ المسْتَعْمَلُ في الأحْكامِ. أمّا قَوْلُهُ: ﴿ **ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ** ﴾ فَإذا حُمِلَ التَّمَنِّي عَلى القِراءَةِ فالمرادُ بِهِ آياتُ القُرْآنِ، وإلّا فَيُحْمَلُ عَلى أحْكامِ الأدِلَّةِ الَّتِي لا يَجُوزُ فِيها الغَلَطُ.

البَحْثُ الثّانِي: أنَّهُ تَعالى بَيَّنَ أثَرَ تِلْكَ الوَسْوَسَةِ، ثُمَّ إنَّهُ سُبْحانَهُ شَرَحَ أثَرَها في حَقِّ الكُفّارِ أوَّلًا ثُمَّ في حَقِّ المؤْمِنِينَ ثانِيًا. والمرادُ بِهِ تَشْدِيدُ التَّبْعِيدِ؛ لِأنَّ عِنْدَما يَظْهَرُ مِنَ الرَّسُولِ □ الِاشْتِباهُ في القُرْآنِ سَهْوًا يَلْزَمُهُمُ البَحْثُ عَنْ ذَلِكَ لِيُمَيِّزُوا السَّهْومِنَ العَمْدِ، ولِيَعْلَمُوا أنَّ العَمْدَ صَوابٌ والسَّهْوقَدْ لا يَكُونُ صَوابًا.(الرازي،1971،ص49-52).

4.1.7. أنواع التواصل اللفظي بين الله والإنسان:

أ) التواصل الغامض: توحي كلمة بأنه هناك إشارة إلى ذلك النوع من التواصل المباشر وهومن النعم الإلهية على الرسل بصفة خاصة وعلى الإنسان بصفة عامة فيكون على شكل إلقاء في القلب يقظة أومناما ويشمل النفث في الروع والإلهام والرؤية المنامية حيث قالت عائشة رضي الله تعالى: "أول ما

بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم".(البخاري، د.ت،ص3).

ب) التكليم من وراء الحجاب: هذا النمط يوحي بأن هناك تواصل لفظي لا مجرد إلهام ولكن في هذه الحالة السامع لا يرى المتكلم كما قال صلى الله عليه وسلم: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ــ وهوأشد علي ــ فيفصم عني وقد وعت عنه ما قال".(البخاري،د.ت،ص3). وربما سمع الحاضرون صوتا عند وجه الرسول كأنه روي النحل لكنهم لا يفقهون كلاما أما هوصلوات الله عليه فانه يسمع ويحي ما يوحي إليه دون لبس ولا خفاء ومن غير شك ولا ارتياب فيجد ما أوحي به إليه حاضرا في ذاكرته كأنما كتب في قلبه.(الزرقاني،د.ت،ص64).

ت) إرسال الرسول: هذا النوع يمثل التواصل اللفظي من خلال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان من النوع السمعي والبصري فيظهر للرسول صلى الله عليه وسلم الملك على صورته الحقيقية الملكية كما جاء في الحديث: " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد" (مسلم،د.ت،ص36). وخلاصة القول أنَّ الوحي هو نوع خصوصي من التواصل اللغوي بين الله وعباده، في الإتجاه النازل فيكون تواصل مباشر من قبل الله لرسله وبصورة غير مباشرة إلى عباده.

ث) الدعاء: وهونوع لفظي من التواصل في **الاتجاه الصاعد** بمعنى أنّه عبارة عن علاقة لغوية تواصلية مباشرة تكون من الأسفل للأعلى أي من الإنسان إلى الله ويعرف بأنه الطلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة.(الفارابي،1987،ص2337).

ويرجع السبب المباشر الذي يدفع الإنسان إلى استعمال اللغة بهذه الطريقة (الدعاء) قد يكون مختلفا من حالة إلى أخرى فقد يكون ورعا عميقا تجاه الله في أقصى حالاته أويمكن أن يكون ــ والحقيقة أن هذه هي أكثر الحالات المعتادة ــ موقف خطر داهم.(إزوتسو،2007،ص202).

كما أنَّ الوحي قد تنزل ويقصد من وراء ذلك الاستجابة الإنسانية سواءا إيجابية أم سلبية كذلك فعل الدعاء يريد أن يستجاب له من قبل الله، فالإنسان يوجه دعائه إلى الله متوقعا تحقق ما يتمنى ويشار إلى الفعل الإلهي لدعاء في القرآن في كلمة الاستجابة ويمكن لنا أن نصف هذا من **وجهة نظر دلالية** بالقول أنّ مفهوم الدعاء يقيم علاقة تبادلية مع مفهوم الاستجابة وخلافا للدعاء الذي هو لفظي أساسا فإنَّ الاستجابة غير لفظية. (حاج مداني،2017،ص48). في حين نجد أنَّ القرآن يعلق أهميته القصوى على مفهوم الاستجابة بوصفها دليلا على أنّ عدم القدرة عليه واحدة من العلامات البارزة للآلهة المزيفة. فالآلهة التي يعبدها الكفار من دون الله لا تسمع دعائهم، حتى لوسمعت فإنّها ستكون عاجزة عن الإجابة بأيِّ شيء . (إزوتسو،2007،ص 304).

2.7. النوع الثاني: التواصل غير اللغوي (غير لفظي)

هو تواصل وإيصال المعلومات واستقبالها بغير اللغة المنطوقة يشتمل على القنوات السلوكية أوالتعبيرية.(يغمور،2019،ص17). مثل التواصل المشترك بين الله والإنسان من خلال الآيات الطبيعية الصادرة من قبل الله والإيماءات والحركات الجسدية التي تصدر من الإنسان.

أ. الآيات الإلهية : تتجسد الآيات الإلهية في دقة التواصل غير اللغوي من الله إلى الإنسان وتكون من الأعلى للأسفل (الاتجاه النازل) فالله ينزل الآيات التي تمثل مجموعة من الرموز والإشارات والإنسان بدوره يستقبل هذه الآيات بما يعرف بالاستجابة (الاتجاه الصاعد). فالله ينزل الآيات كل لحظة آية بعد آية كرموز وعلامات. وربما كان الهدف من وراء تكرار مثل هذه الظواهر الحض على تدبر هذا الكون الذي لا يختل فيه النظام، مما يشكل لدى المرء، وازعا يدفعه إلى تعميق إحساسه بكل ما يراه حوله ويشاهده. وبذلك يتجدد الحس الهامد ويتوقد العقل البارد ويتفتح الوجدان على الأسرار المدثورة والمشاهد المنشورة في تضاعيف هذا الكون فنرقب مشاهده الباهرة ويخفق القلب لما فيها من روعة وجمال، ويوقن العقل أنّ اليد التي صنعت كل ذلك يد عظيمة جليلة.(نورهاني

،2009، ص9). كذلك نجد بأنَّ الآيات الإلهية تشتمل على الرموز اللفظية المتمثلة في الوحي، وغير اللفظية التي تتميز لأنها ظاهرة وجلية وموجهة لعامة الناس. أي أنها مباشرة ولا تحتاج لوسيط مثل الوحي الذي نزل على الرسل لتبليغه للنّاس، والاستجابة الوحيدة لهذه الآيات لفظية كانت أوغير لفظية هي وفقا للقرآن إما القبول أوالرفض.

ب. التصديق حرفيا: اعتبارها صادقة وإقرارها أوتكذيب حرفيا والإنسان إما أن يقبل الآيات كحق أوأن يرفضها كليا كباطل ليس لها واقع وراءها أومجرد نتاج للوهم والخيال الذي لا أساس له ولا ريب في أنَّ التصديق هو الخطوة الأولى إلى الإيمان وأنّ التكذيب هوالأساس الحقيقي للكفر. والفرق الوحيد هوأنّ الثنائي الأول (تصديق ــ تكذيب) أكثر واقعية ووضوحا في الإدراك من الثنائي الثاني (إيمان ــ كفر) الذي يمثل درجة أرقى في سلم التجريد.(إزوتسو،2007،ص218).

وبعبارة أخرى عند قبول الإنسان للآيات كونها حقيقة ونعمة من نعم الخالق فالنتيجة هي: الشكر، فيؤدي إلى التقوى وعند اتحاد واجتماع التقوى والشكر يتولد الإيمان وعلى عكس ذلك عند رفض الإنسان للآيات فالنتيجة هي الكفر وهو نقيض الإيمان قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾.[الحج:72]. ولقد فسر الرازي هذه الآيات هي القرآن حيث وصفها الله بأنها بينات لكونها متضمنة للدلائل العقلية وبيان الأحكام فبين أنهم مع جهلهم إذا نبهوا على الأدلة، وعرضت عليهم المعجزة ظهر في وجوههم المنكر، والمراد دلالة الغيظ والغضب، وللمفسرين في المنكر عبارات: أحدهما قال كلبي: تعرف في وجوههم الكراهية للقرآن ثانيهما قال ابن عباس رضي الله عنهما: التجبر والترفع وثالثها قال مقاتل: أنكروا أن يكون من الله تعالى.(الرازي،1971،ص67).

ت. الهداية الإلهية: إنّ التواصل غير الغوي كما ذكرنا سابقا ليس أحادي الجانب بل هومتبادل أي أنّه من الجانبين الاتجاه النازل المتمثل في آيات الله والاتجاه الصاعد الذي يمثل الاستجابة الإنسانية لتلك الآيات والتي تكون من خلال الهداية أوالضلال. والقرآن الكريم يحمل لنا حقلين مختلفين يتشكلان حول الفكرة الأساسية لتنزيل الله الآيات وهما ليسا مستقلين أحدهما عن الأخر:

- **في الحقل الأول:** نجد أنّ الإنسان هومن يختار بين التصديق والتكذيب للآيات الإلهية وطبيعي أن نتيجة التصديق الإيمان والتكذيب الكفر مثل تكذيب الأقوام السابقة لدعوة الرسل والأنبياء، أدى إلى كفرهم قال تعالى: ﴿ **وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43)** ﴾.[الحج:43].
- **أما في الحقل الثاني** فنجد الإنسان حر في الاستجابة إما بالاهتداء المتمثل في إتباع الطريق الصحيح المقدم له وتجنب الضلال فيكون مصير إتباع الطريق الجنة. أو بالضلال وهو عكس الاهتداء أي أنّ الإنسان هنا يرفض الاهتداء وإتباع الطريق الصحيح والنتيجة مصيره جهنم.

قال تعالى: ﴿ **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾.[الحج:09] . ويقول الرازي : فاعلم أنّ ثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصغير الحد ولي الجيد وقوله: ﴿ **وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ ثم بين تعالى أنَّ هذا الخزي المعجل و ذلك العقاب المؤجل لأجل ما قدمت يداه.(الرازي،1971،ص12). وفي النسخة الثانية تتم رؤية الحقل كله من زاوية القضاء والقدر التي درسناها من قبل إطار قضية العلاقة الوجودية بين الله والإنسان. أنّ كل شيء يحدث على هذه الأرض من زاوية النظر الخاصة تلك، يعود إلى الإرادة الإلهية بشكل مطلق، ومنْ هذا المنظور فإنّ الإنسان الذي ينحرف مبتعدا عن الطريق الصحيح باختيار الضلال بدلا من الاهتداء هو في الحقيقة لا يختار شيئا لنفسه وبنفسه ذلك أنّ استجابته للهداية بأي من شكليها هي النتيجة الضرورية للإرادة الإلهية أنّه يختار الضلال أو

الاهتداء. لا لأنّه يريد ذلك، بل لأنّ الله نفسه ببساطه يريد أن يفعل ذلك. بتعبير آخر أنّ كلا من اهتداء الانسان وضلاله يعود على حد سواء الى الارادة الالهية (المشيئة). (إزوتسو2007،ص224).

كما جاء في في قوله سبحانه و تعالى: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾. **[الحج:24]**. فالقرآن الكريم صور لنا الصلة التي تجمع بين الخالق (الله) ومخلوقه (الإنسان) وما أحلاها من صلة عندما يدرك العبد آيات الله فيستجيب لها فيكتمل هذا التواصل المتبادل من الجانبين و الاتجاهين الصاعد والنازل.

8. الخاتمة: وعلى العموم إنّ سورة الحج حقيقة نزلت ثرية بالعلامات الكونية الربانية، وقد اكتشفنا ذلك من خلال ماسبق عرضه في ثنايا هذه الدراسة حيث توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- بيان أهمية علم المعنى الدلالة بفروعه في استنباط الدلالات المختلفة التي بينتها الآيات الكريمة، ولفهم أي نص، وبالأحرى القرآن الكريم، إذ مؤداه الفهم عن الله تعالى وإنّ دلالات سورة الحج أكثر من أن تحصى في بحث محدود ولكن اكتفى البحث على إلماحات منها .
- يقدم السياق القرآني حقلا دلاليا خاصا بالخلق متعلقا بمسألتين هما البداية والنهاية إذا ليست البداية ألا النتيجة الحتمية للنهاية التي تسير إليها الإنسان والتي تعرف بالمصير الإنساني.
- من النتائج المهمة أنّ القرآن يجسد لنا العلاقة التواصلية بنوعيها اللغوية وغير اللغوية بين العبد وربه المتمثلة في الوحي والآيات الإلهية ذات الإتجاه النازل والدعاء الذي يمثل أساس العبادة.

- حينما يبدي الإنسان فهما وإدراكا عميقين للدلائل الألوهية مثل خلق الإنسان وتسخير الأرض لخدمته وتعاقب الليل والنهار وإخراج النبات وإنزال المطر وأنّ الله هو الذي يحيي ويميت هذه الدلائل تشرح له الماهية الخلقية وترشده إلى إدراك قيمة علاقته الجوهرية مع خالقه .
- تنطوي علاقة (الرب ، العبد) تحت العلاقة الوجودية لأنّ كلمة الرب في السياق القرآني تطلق على الموجد من العدم أي الله سبحانه وتعالى وكذلك توصلنا إلى أنّ قضية الخلق في القرآن، تعبر عن العلاقة الوجودية بين الخالق والمخلوق والعبودية هي الصلة التي تحققها.
- من أهم الملاحظات التي نختم بها الدراسة: أنَّ الله يعطي الآيات والدلائل على حقيقة الوجود، ويمنع الإنسان الكثير من النعم من بينها الهداية ومن الطبيعي أن يستجيب الإنسان بالشكر والإمتنان لفضل الله، وفي بعض الحالات تكون الإستجابة بالكفر والجحود لنعم الخالق.

– **أهم التوصيات** : تبين من خلال هذا البحث أهمية علم الدلالة في بيان معاني القرآن الكريم، وهو باب من أبواب علم التفسير لا يزال في فتوته وشبابه يحتاج إلى سواعد قوية وجهود كبيرة لاستنباط دلالات الكتاب المجيد .

9. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

الحديث الشريف .

إيزوتسو توشيهيكو،(2007)، الله والإنسان في القرآن، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم،ط1، تر، هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

إبن منظور،محمد بن مكرم بن علي، (1414)،ط3،دار صادر، بيروت، لبنان.

بدوي عبد الرحمان،(1997)،ط5، خريف الفكر اليوناني، دار العلم، بيروت .

بالمر، ف ، ر ،(1999)، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري، إبراهيم، دار المعرفة الجامعية،د.ب.

بن فارس أحمد ،(1998)، معجم المقاييس في اللغة ،ط2، تح: شهاب الدين، دار الفكر، بيروت.

بن شداد عنتر ،(د.ت)، شرح ديوان عنتر بن شداد ، تح: عبد المنعم شبلي، المكتبة التجارية، القاهرة.

البخاري محمد بن إسماعيل،(1987)،كتاب بدء الوحي، د.ط، دار ابن كثير، بيروت.

جيمس ب، كارس،(1998)، الموت والوجود، دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي العالمي، تر بدر الدين,المجلس الأعلى لثقافة،د.ب.

جمال النبا،(2004)،نحو قراءة جديدة للقرآن في ظل التحريات المعاصرة، مجلة رؤى،ع24، مركز الدراسات الحضارية بباريس .

الجرجاني الشريف،(1985)، التعريفات، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت.

خديجة حاج مداني، (2017)، دور السياق في تحديد الدلالة القرآنية. الحقل الاخروي أنموذجا. (رسالة مقدمة لنبيل شهادة دكتوراه الطور الثالث) .قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف02، الجزائر .

الرازي فخر الدين،(1971)،التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الزرقاني محمد عبد العظيم،(د.ت)،مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر ،د.ب.

الزمخشري أبو القاسم،(1982)، أساس البلاغة،ط1، دار المعرفة، بيروت .

سلاف شهاب الدين يغمور،(2019)، التواصل غير اللفظي في الإبانة والتواصل نماذج تطبيقية ومقولات الكلية، (رسالة الماجستير في اللغة العربية و آدابها) ،جامعة بيروت، فلسطين .

الشعراوي محمد متولي،(2006)، الحياة والموت، مكتبة الشعراوي الإسلامية، د.ب.

الطحاوي أبو جعفر،(1994)، شرح مشكل الاثار، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الفارابي أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري،(1987)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية،ط4،ج6، تح: احمد عبد الغفور عطار الناشر، دار العلم الملايين، بيروت.

مختار أحمد، (1998)،ط5، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة.

موريس أبو ناصر،(1982)، مدخل إلى علم الدلالة الالسني مجلة، الفكر العربي المعاصر، ع19، بيروت .

مؤمن أحمد ، (2012)، اللسانيات النشأة والتطور،د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر .

ماكوري جون،(1982)، الوجودية ترجمة عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت .

المراغي، أحمد بن مصطفى،(1946)، تفسير المراغي،ط1،ج27، مطبعة مصطفى ألبابي وأولاده، القاهرة.

نور هاني محمد أسمحان،(2009)، جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية، (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها)، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين .

النيسابوري أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري،(1991)، صحيح مسلم،ط1، دار الكتب العلمية بيروت.

هايدجر، مارتن،(1977)،نداء الحقيقة، تر: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة، القاهرة .